مع الملك .. وجها لوجه !

يا الهى .. انه الملك ..! »

قالها المستر وين ..

وهمس أحدهم : « الملك ؟! »

واقتربنا منه وكلنا يحاول أن يمعن النظر .. ولم يعد هناك مجال للشك .

... « انه الملك ! » ..

وأنت لا تقابل ملكا فى كل يوم .. وملك اليمن جزء من صميم التاريخ .. ورغم ذلك فقد كان اللقاء يختلف تماما عن كل مارسمناه فى أذهاننا

جاء الاذن مفاجأة .. وانتقلنا الى السخنة من الحديدة بالطائرة ، والسخنة هى « فيشى » أو « اكس ليبان » اليمن ..

قرية صغيرة .. بيوتها من الطين والقش ما عدا القصر الملكى فهو من الحجر . وهى منطقة جبلية تسمى جبال « ريمة » وهى غير «ريمة» التى رجعت لعادتها القديمة ، بل تشتهر بأجود أنواع البن ..

وتقع « السخنة » على مسافة ربع ساعة بالطائرة من الحديدة ، ولما كانت الطائرة « داكوتا » وتسير بسرعة ١٥٠ ميلا فى الساعة ، فتكون المسافة من السخنة الى الحديدة أقل من أربعين ميلا ...

ويقيم جلالة الملك احمد بن يحيى حمد الدين فى « السخنة » منذ اشتداد علة الروماتيزم عليه .. للاستشفاء بالينابيع الحارة التى تزخر بها المدينة .. أو القرية .. أو الضاحية .. أو ما شئت ..

وفى مطار السخنة ، استقبلنا ممثل لوزارة الخارجية وكان معنا الشامى طبعا ، وبالسيارات انتقلنا الى دار التشريفات ، حيث استقبلنا حسن بن ابراهيم نائب وزير الخارجية ، وانتظرنا بالاستراحة الملكية فى انتظار الاذن بالتشريف ، واليوم هو الجمعة ولم يبق على الصلاة الا ساعات ، وحولنا عشرات من زعماء القبائل ، والدبلوماسيين ، وقائد عام قوات اليمن المسلحة وممثلها فى القيادة المشتركة .

وفجأة قال « الشامى » « تفظلوا » ... وتفضلنا !

وساروا بنا فى ممر صغير .. وانعطفنا الى غرفة جانبية يقف فى صدرها .. رجل قصير .. يرتدى جبة بقطان ذهبى .. وعمامة يتدلى طرف شالها فوق الاذن اليسرى ويضع على عينيه نظارة رملس .. ضاحك الثغر ...

وتوقعت أنه كبير الياوران ، حتى صاح المستر وين « يا الهى .. انه الملك » !

وكان الملك حقا !

ووقفنا فى قاعة العرش التى ضاقت بنا .. حول الجدران صفت الوسائد وفى وسط الغرفة وضعت منضدة مربعة يمكن لخمسة أن يجلسوا اليها بارتياح .. ولما كنا أحد عشر فضلا عن الدبلوماسيين والمترجمين .. فقد تناثر بقيتنا على عدد من المقاعد ، من أفخر

ما أنتجت مصانع « الظايط » ويتصدر الامام المائدة المغطاة بمفرش من النايلون ·· ويطل من الحائط صنـدوق خشبى به أكـوام من الاوراق الهامة ·· وعند الحائط المواجه منضدة طويلة تصطف فوقها أكواب عديدة ، بها ماء مذاب فيه كبريتات نحاس بكميات وفيرة ، مما يكسبه لونا أزرق واضحا ·· ولا شك انها مياه للتطهير وان كنت لا أدرى لماذا يحتفظون بها فى أكواب ···

وافتتح جلالته أول مؤتمر للصحفيين العرب فقد كان من الضرورى فعلا أن نكون نحن أيضا « الاول » ·· كما كانت البعثة التى سبقتنا كان يتكلم فى تدفق وسرعة ، وفى حماس يتجلى فى تحرك جسمه كله ··· وهو يضم أصابع اليدين تاركا الخنصر فى كل يد ، ويشير بهما معا فى اتجاهين متضاربين ، وقد أسند كوعه الى الفخذين ·

وفى جلالته لازمة لطيفة ·· هى اخراج طقم الاسنـان الاسفـل بطرف لسانه ثم رده كلما انفعل فى الحديث ··

ورغم أنه قد تجاوز الستين أو حتى السبعين فهو فى صحة ممتازة. لحيته سوداء تماما متمتع بصفاء التفكير ، ومتتبع للاحداث العالمية · يلم بكل صغيرة وكبيرة فى بلاده ·

وبالطبع فان أحاديث رؤساء الدول عادة ، والملوك بصفة خاصة لا تنشر الا بعد مراجعة ، واقرار من المسئـولين ، والذى نشر فى الجرائد المصرية هو الحديث المعتمد من الخارجيـــة اليمنية ، وهـو لا يختلف كثيرا عن حديث البديهة ، الذى كان يجيبنا به جلالة الامام

ورغم ذاك فأنا أحب أن أنقله لكم هنا بألفاظه قدر الامكان ··· والذين سمعوا تسجيل صوت العرب ، يستطيعون بالاضافة الى ما قدمته من وصف وما أقدمه من صور ، أن يتخيلوا الدقائق الخمس والثلاثين التى عشناها مع أمير المؤمنين ···

قال الناطق بلسان البعثة « اننا نشكر الحفاوة والكرم الحـاتمى

والرعاية السامية ٠٠ وما قام به السيد الشامى ٠٠٠ الخ »
وجلالته يقاطع « أستغفر الله ! أستغفر الله !٠٠ »

ثم أمسك بميكروفون صوت العرب وقال « أبلغوهم جميعا تشكراتى وتحياتى لما قاموا به أولا وآخرا ٠٠ وصفوا لهم الحالة التى رأيتم ٠٠٠ والتأييد الروحى لهم معناه عظيم ٠٠ أما « الولد » الشامى فأنا أعرف أنه كفء لذلك كان اختيارى له ٠٠٠ ولا تزال اليمن على ما هى منذ بدء الخليقة ٠٠٠ كل تقصير لا ينسب الينا ولكن ينسب لحكومة لندن ، ما تركتنا نعمل أى عمل ولكن تعرقله بطريقة خفية٠٠ ولقد شاهدتموه (أى العدوان) بأعينكم وسمعتموه بآذانكم ٠

وكانت الجرائد والاذاعات ، قد أذاعت بلاغات وزارة الخارجية اليمنية عن شكوى اليمن ضد بريطانيا فى الامم المتحدة ، فلما جاء الدور لكى يوجه كل منا سؤالا ٠٠ كان من الطبيعى ان يكون أول سؤال ٠٠ عن هذه الشكوى

٠٠٠ ولكن جلالته أجاب فى بساطته الديمقراطية المدهشة

« هذا ما يقوله الناس ، أما حقا فلم يحدث شىء ٠٠٠ واذا دفعت بريطانيا باليمن الى اتخاذ اجراءات كهذه فسنفعل ٠

وسأل الامريكى :

هل توافقون على تشكيل لجنة استفتاء دولية فى جنوب اليمن وعلى أى أساس يجرى هذا الاستفتاء ؟

وقال جلالته :

ـ هذا لا يكون من حكومة اليمن ٠٠ اجتماع لجنة ٠٠ الاصل فى مواد المعاهدة التى وقعت سنة ١٩٣٤ أنه اذا حدثت أى حوادث على الحدود فيكون مرجعها الى المفاوضات السلمية ٠٠ فى الملحق ضابط من حكومة عدن ، وضابط من حكومة اليمن يجتمعا ٠٠ وكانت الحكومة

اليمنية هى التى كتبت الى لندن على أنه يلزم خروج ضابط من عدن ، وضابط من الحكومة اليمنية ، فى الحدود لانها أشياء قبلية صغيرة ·· جمال أكلت حبال ساقية ·· بعد شهر أفادوا أنه يكون اجتماع ، بعد هذا كله ما طلبنا ، والآن يقولون نجتمع ؟

قلت كما قال المثل · فى الصيف ضيعت اللبن ، فتسارعوا وكتبوا اجتماع ·· نقول لهم نحن مستعدون ولكن يجب ايقاف النار ولكن لا يمكن التفاوض أثناء اطلاق النار ·· هل يعقل اجتماع اللجنتين وهناك حرب وقتل ··

وأنا لا أمانع فى اجراء استفتاء ·· وهل يكون هناك استفتاء وهناك قوة ؟! »

ورد جلالته على سؤال عن أسباب العدوان :

« أظن أن هذا لا يخفى على أحد ·· ولعل السبب الباعث لما تقوم به انكلترا ، هو ما قرره بعض الخبراء أن بعض المحميات بها بترول كثير ، فهى تريد الانفراد به وتختص به ·· ولذلك وقفت لنا بالمرصاد فى كل عمل له خير المحميات ولا تفتح اذنها لسماع كلام ·· ولا نريد أن نأخذه كله ، فبالمقاسمة ·· لاهل البلاد شى ، وللانجليز شى ، وللشركة شى وللحكومة اليمنية شى ··

وقال الروسى :

« انه يود باسم الصحافة السوفيتية ان يعبر عن تقديره للحفاوة البالغة التى لقيها ·· »

فأجاب جلالته :

هذه الحفاوة التى يقول أنه وجدها فهذه عادة اليمن وقد عرفها من جاء قبلكم »

فلما طلب فشنفسكى من جلالته أن يوجه كلمة للشعب السوفييتى

قال جلالته :

« أقول كما قال الرئيس جمال نسالم من سالمنا ، ونعادى من يعادينا ·· »

وفجأة ··· التفت جلالة الامام الى الشامى وسأله « هل شاهدوا السلاح الروسى ؟! »

ورد الشامى ··· « بل رأوا السلاح التركى »

وسألته أنا عن رأى جلالته فى مشروع ايزنهاور ؟

وأجاب جلالته فى دبلوماسية بارعة
« أنا رأيى فيه عند ما تتحد كلمة العرب جميعا فأنا واحد منهم »

وأجاب السائل عن اشتراكه فى مؤتمر الاقطاب العرب ؟

« يمكن أن أرسل من يحضره لان تغيبى فى هذه الحال عن اليمن يسر أعدائنا »

وعلق على قول صحفى أن هناك حركة تطوع قوية بين الشباب العربى لنصرة اليمن ··

بقوله : « حياهم الله ··· »
ولما أضاف آخر : « هل تقبل اليمن متطوعين من روسيا ؟! »

أجاب جلالته :

« عند اللزوم لا أرد أحدا »

ولما كانت أسئلتنا قد انتهت واقترب موعد الصلاة فقد رأينا ان ننهى المؤتمر الصحفى ··

وشكرنا جلالته ·· وطلبنا شرف الحصول على صورة فوتوغرافية معه ·· وصافحنا جميعا والتقطت لنا الصور ·· وقد سر جلالته شديد السرور من براعة مصورنا ، وطلب نسخا من الصور ثم أذن له بالتقاط الصورة التقليدية التى يظهر فيها دائما والى جانبه أحد الامراء الصغار ···

وتوجهنا الى الباب ·· وفوجئنا بالتشريفاتى يمنع الخروج ،ويشير بيده الى المائدة الطويلة حيث تصطف أكواب كبريتات النحاس ·· ولم أفهم ماذا يطلب منا بالضبط ·· ولدهشتى رأيت بعضهم يتجرعون الاكواب ··· يا للهول ! كبريتات النحاس ! هل ارتكبنا غلطة ما ·· غلطة لا تغتفر ·· ولم يكن هناك مفر والحرس يحيطون بنا ··· وتقدمت بخطى ثابتة مرفوع الرأس ··· وفى خطوات وئيدة وجدت الكوب أمام عينى وأقسم أن يدى لم ترتعش ، وفى وقار يليق بمصرى بعد معركة بور سعيد ، رفعتها الى شفتى··

وللاسف لم تكن سوى نوع من « الشربات » غير معروف لامثالى ممن لا يترددون على قصور الملوك ···

وفى الحديدة صرفت لنا الهدية الملكية السنية وهى ملاءة سرير فاخرة وزكيبة بن يمنى ممتاز ·

***